الباب الأول

الأحاديث والسنة

- ما المقصود بالحديث، وما المقصود بالسنة.
- أنواع السنة.
- الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوي.
- كيف انتقل إلينا الحديث.
- مبدأ عام للأحاديث الشريفة.
- حجية السنة.
- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية.

ما المقصود بالحديث؟[1]

المقصود بحديث رسول الله ﷺ هو كل ما نسب للرسول من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وفى هذا يقول الرسول ﷺ: «نَضَّر الله عبدًا سمع مقالتى، فحفظها ووعاها، وأداها كما سمعها».

ما المقصود بالسنة؟

السنة فى اللغة: الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم سيئة، فإذا أضيفت إلى ممدوح فهى حسنة كما فى قوله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وإذا أضيفت إلى مذموم فهى قبيحة.

والسنة فى اصطلاح الأصوليين: «ما صدر عن النبى ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته».

أنواع السنة باعتبار ذاتها

١- السنة القولية: هى الكلام المنسوب إلى الرسول بصيغة صريحة، مثل قول الصحابى: «سمعت رسول الله يقول ...»، وهى تعد بعشرات الآلاف.

٢- السنة الفعلية: وهى تصرفات الرسول، والأعمال المنسوبة له، وفضائله بين الناس، كأن يقول الصحابى: «رأيت رسول الله يفعل كذا وكذا ...».

٣- السنة التقريرية: وهى التصرفات أو الأقوال التى صدرت عن أصحاب الرسول وأقرها الرسول بسكوته أو موافقته، فمثلاً روى الصحابة أن الرسول رأى بعضهم وهو

---

(١) العلاقة بين قول الله وقول رسول الله ـ حسن دوح.

يأكل لحم الضب فلم ينكر عليهم أكله، إلا أنه لم يأكل منه، وهو يعنى أن أكل لحم الضب ليس حرامًا.

أنواع السنة باعتبار سندها:

١ - المتواتر: هى ما رواها عن رسول الله جمع من الصحابة يستحيل أن يجتمعوا على الكذب؛ لكثرتهم وأمانتهم وقربهم من الرسول ومصاحبتهم له فى كل مكان، ومن أمثلة السنن المتواترة الصلاة بشكلها المعروف، كما كان يصليها الرسول لأصحابه «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**».

٢ - الآحاد: هو كل ما عدا المتواتر. وعليه فالمشهور عند الجمهور الذى لم يبلغ حد التواتر من الآحاد خلافًا لمن جعل القسمة ثلاثية.

ما الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسى والحديث النبوى؟

- القرآن الكريم: هو اللفظ المنزل على رسول الله من عند الله ـ عز وجل.
- الحديث القدسى: هو ما قاله رسول الله ﷺ بلفظه حاكيًا عن ربه، ومعناه من عند الله.
- الحديث النبوى: هو كلام رسول الله ﷺ، سواء كان توفيقيًّا أو توقيفيًّا.

إذن مصادر التشريع الإسلامى ـ كما يقول الفقهاء ـ هى القرآن أولاً، ثم السنة ثانية.

كيف انتقل إلينا الحديث؟

١ - نعرف جميعًا أن رسول الله كان حريصًا فى أول الإسلام كل الحرص على أن يقتصر التدوين على كتاب الله حتى لا تختلط الآيات بالأحاديث فلما أمن ذلك أذن ﷺ فى الكتابة.

٢ - أحس عمر بن عبد العزيز أن المسلمين فى حاجة للتعرف على الحديث الصحيح بعد مضى ما يقرب من قرن من الزمان على وفاة الرسول، بعد أن حسم عثمان بن عفان موضوع القرآن، وبدأ فى جمع الأحاديث كبار المحدثين عن رسول الله ﷺ ومن أشهرهم:

أ. **البخارى: ولد فى أواخر القرن الثانى الهجرى وكتابه المشهور «الجامع الصحيح» وقد جمعه خلال ١٦ سنة، ولقد شرح لنا البخارى كيفية إعداد كتابه فقال: «خرجت كتابى هذا من زهاء ستمائة ألف حديث».**

ب. **مُسْلِم**: هو الإمام مُسْلِم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى ولد فى السنة الرابعة من القرن الثالث الهجرى، واختار أحاديثه من بين ٣٠٠ ألف حديث فى كتابه «**صحيح مسلم**».

ج. وهناك أيضًا الإمام أبو داود، والترمذى وغيرهما.

التفسير والتأويل

التفسير فى اللغة: يعنى الإيضاح والتبيين، ومنه قوله ـ تعالى:

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣].

أى بيانًا وتفصيلاً، والتفسير فى الاصطلاح: علم يبحث فى القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

وقال بعضهم: التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفصلها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها.

التأويل: مرادف التفسير فى أشهر معانيه اللغويه، قال صاحب القاموس: أوَّل الكلام تأويلاً، وتأوله ودبره وقدره وفسره، ومنه قوله ـ تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧].

والبعض يرى أن التفسير يتعلق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية [٢].

والعلماء عندما يتحدثون عن التفسير يتحدثون عن أمرين: يتحدثون عن التفسير، ويتحدثون عن التأويل، ثم يختلفون فى التأويل اختلافًا كبيرًا جدًّا. الأصل عند العلماء أن التأويل هو التفسير فى القديم، وفى لفظ القرآن: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [آل عمران: ٧]. ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

تأويله: يعنى ما يؤول إليه الأمر، يعنى منتهى المقصود، غاية المراد وما يؤول إليه الأمر.

---

(٢) علوم التفسير ـ عبد الله شحاته.

فالتفسير والتأويل فى أصل الوضع اللغوى والشرعى كانا بمعنى واحد. ثم تطورت هذه الكلمة (كلمة تأويل) فأصبح التفسير هو المفهوم من اللفظ، والتأويل هو لما يحتاج إلى جهد أبعد من اللفظ، ثم تطورت فى الزمن المتأخر كما يقول (الألوسى) فى تفسيره «أصبح التأويل هو التفسير بالإشارة، والتفسير هو التفسير المستمد من لفظ كلام الله ـ تبارك وتعالى ـ فى المصحف الشريف».

والتفسير بالإشارة الذى سماه التأويل هو فى الواقع التفسير الصوفى الذى لا يقوم عليه دليل بالنص القرآنى، إنما يقوم عليه الدليل فى ذهن وقلب العالم. فقال: هذه تجليات وإلهامات وإشارات يؤتيها الله ـ تبارك وتعالى ـ فى قلب من شاء من عباده، وهذا هو التأويل.

أما كل ما هو مستمد من اللفظ، سواء كان من التفسير بالمأثور أو من التفسير بالمعقول أو من فهم معنى والذهاب به إلى مراميه البعيدة والقريبة، كل هذا هو التفسير. وقال: هذا استقر عند العلماء، وأصبحت كلمة تأويل لا تعنى تفسيرًا.

وحينما سئل د. زكى نجيب محمود: ما هو مفهوم العقل؟

قال: إن الأصولية الإسلامية تأخذ بحرفية النص الدينى، فتنفى التأويل عن العقل، وهى لهذا تقف ضد ابن رشد صاحب مقولة التأويل فى إطار سلطان العقل.

التأويل عند ابن رشد

إن ثمة مقولة محورية فى فلسفة ابن رشد هى مقولة التأويل، وهو يعرفها بأنها: «**إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية**»، وهو يقول ذلك فى شأن العلاقة بين الشريعة والبرهان العقلى، يقول: فإن أدى النظر البرهانى إلى نحو ما من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه الشرع أو نطق به، فإن كان مما سكت عنه فلا تعارض هناك، وهو بمنزلة ما سكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعى، وإن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقًا لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفًا، فإن كان موافقًا فلا قول هناك، وإن كان مخالفًا طلب هناك تأويله.

هذا مع ملاحظة أن التأويل عند ابن رشد من شأن الراسخين فى العلم، وليس من شأن

الجمهور؛ لأنه إن لم يكن أهل العلم يعلمون التأويل لم تكن عندهم مزية تصديق توجب لهم من الإيمان به ما لا يوجد عند غير أهل العلم، أما الجمهور فيمتنع عليه هذا العلم، ومن هنا فإن التأويل يخرق الإجماع؛ إذ لا يتصور فيه إجماع؛ ولهذا يمتنع تكفير المؤول؛ ولهذا فقد خلط الغزالى عندما كفَّر الفلاسفة من أهل الإسلام مثل الفارابى وابن سينا فى كتابه (تهافت الفلاسفة).

ولكن ماذا يعنى تكفير الفلاسفة؟

يعنى أن الذى يكفر هو الذى يتوهم الحقيقة المطلقة، وهناك حديث شريف معناه: «ستفرق أمتى بثلاثة وسبعين فرقة، وكل فرقة تدعى أنها هى الناجية لأنها على حق»، وهذا الوهم هو الذى يحد من سلطان العقل، وقد أراد ابن رشد إزالة سلطان هذا الوهم بحيث لا يبقى سوى سلطان العقل، وهو جوهر التنوير، ومن هنا يمكن القول بأن ما حدث لابن رشد من إحراق كتبه ومحاكمته ونفيه مردود إلى دعوته إلى التأويل على نحو ما ارتآه.

كان الصحابه يلجؤون أولاً إلى كتاب الله، ثم إلى سنة رسول الله ﷺ، فإن لم يجدوا اجتهدوا بآرائهم، وذلك الذى سلكوه هو الذى أقره النبى.

معاذ بن جبل عندما أرسله النبى ﷺ قاضيًا باليمن، قال له: «بم تقضى؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: فبسنة رسول الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيى ولا آلو، فقال: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله».

السنة ودرجات المعارضين لها

١ - فى عصر الإمام الشافعى وجدت نحل مختلفة، وقد وجدت طوائف فى عصره تهاجم السنة، وقد ذكر فى كتاب (جماع العلم) أنهم كانوا ثلاثة أصناف:

أ - **أولها**: أنكر السنة جملة، فادعى أن الحجية فى القرآن وحده.

ب - **والثانى**: لا يقبل السنة إلا إذا كان فى معناها قرآن.

جـ - **والثالث**: يقبل من السنة ما يكون متواترًا، ولا يقبل ما يكون غير متواتر.

وقد دافع الشافعى عن السنة بقوله: إن النبى ﷺ أجاز لمن سمع عنه أن ينقل ما سمع

عنه ولو كان واحدًا، فقد قال النبى ﷺ: «نَضَّر الله عبدًا سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأداها».

ويقول الرسول ﷺ: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين عضوا عليها بالنواجذ» (رواه الترمذى).

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

وكان رسول الله ﷺ يقول فيما معناه: «احفظوا أحاديثى وأخبروا بها من وراءكم من العشائر والقبائل».

كما قال النبى ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله تعالى وسنة رسوله» (عن مالك رضى الله عنه).

وصية وداعية

وعن العرباض بن سارية ـ رضى الله عنه ـ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «أوصيكم بتقوى الله ـ تعالى ـ والسمع والطاعة... فإن من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (أخرجه أبو داود والترمذى).

كما حذر الخليفة أبو بكر الصديق من التفسير والتأويل الخاطئ، فنجده يقول: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية، وتؤولونها على خلاف تأويلها.

وكانت طريقة الشيخين أبى بكر وعمر ألا يقبلا الحديث إلا إذا شهد بسماعه عن الرسول اثنان، وكان على مُحلِّف من يروى الحديث لكى يطمئن إلى صدقه.

ويقول د. محمد سليم العوَّا عن السنة: فيها ما هو منقول بسند إما أن يكون عن المعصوم

محمد ﷺ، وإما عن ناس آخرين، فإن كان منقولاً عن المعصوم وجب التسليم به؛ لأنه لا أحد يخالفه؛ لأن المنقول عن النبى ﷺ بسند صحيح جزء من الدين، وإن كان منقولاً عن غير المعصوم يجب النظر فيه، هل متفق مع النص القرآنى، هل هو متفق مع النبى ﷺ؟ هل هو متفق مع حقائق الإسلام العامة؟ المتفق نأخذه، وغير المتفق نتركه.

والفقهاء من بعد الشافعى يذكرون الكتاب أولاً، ثم السنة ثانيًا، ويعتبر ابن حزم النصوص - من قرآنية وأحاديث - هى مصدر الشريعة، والسنة والقرآن فى مرتبة واحدة، فيقول: (والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهى شىء واحد فى أنهما من عند الله تعالى، وحكمهما حكم واحد فى وجوب الطاعة لهما)، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠-٢١]، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

مبدأ عام للأحاديث الشريفة

يقول د. محمد سليم العوا: من يأتيه حديث من عند الرسول ﷺ فعلى العين والرأس، كما قال أبو حنيفة - رضى الله عنه - ما جاء من عند رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس، وما جاء من عند أصحاب النبى من آرائهم نتخير منه (لماذا نتخير منه؟) لنرى أقربه للقرآن وأقربه للسنة التى صحت عنه.

فمثلاً عندنا مشكلة الحديث الذى يتكلم عنه كل الناس هذه الأيام: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أو يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن قالوها عصموا منى أموالهم ودماءهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»**.

هذا الحديث لا يعقل! لأن النبى ﷺ عاش بعد البعثة ثلاثًا وعشرين سنة، كيف فى ثلاث وعشرين سنة سيقاتل الناس كلهم إلى يوم القيامة؟ كيف سيقاتلهم؟ والذين سيخلفون من هم؟ ومن الذى سيحارب معه؟ وإننا مهزومون فى كل مكان، فكيف سنحارب الناس؟ لفظ «الناس» فى هذا الحديث مقصود به بإجماع العلماء المشركون بجزيرة العرب لا المشركون الذين هم خارج جزيرة العرب، ولا أصحاب الأديان الأخرى، وإلا فقد كان اليهود مع النبى ﷺ

حارب من حاربه منهم، حارب من خانه ونقض عهده منهم، ولم يحارب الباقين وتركهم إلى أن أخرجهم سيدنا عمر بعد وفاة النبى ﷺ وبعد وفاة أبى بكر.

فمثل هذه الآفة ـ آفة عدم فهم معنى الحديث ـ إما لأنهم لم يدركوا اللغة، وإما لم يقرءوا كتب التفسير التى تعب فيها العلماء تعبًا لا يقدر، حتى يشرحوا لنا كلام النبى بمجموع رواياته وبقرآن الله تبارك وتعالى، وبما قاله الصحابة والتابعون... هذا باب... والثانى باب الجهل بالحديث نفسه، فهم لا يعرفون وجوب قبوله، فيقعون فى هذا الخطأ.

أحب أن أقول لحضراتكم إن كثيرًا جدًّا مما يقال فى وسائل الإعلام العامة والخاصة بما فيها المساجد والمنابر كلام لا يصح ديانة، يقوله الناس إما جهلاً وإما استخفافًا.

استخفافا: كأن يقرأ الحديث فيأخذه على ظاهر الكلام، ويقول هذا معناه كذا وكذا، أو جهلاً: لأنه لم يتعب نفسه ولم يبحث ولم يفتش ولم يعمل، وأحيانًا تجد أقوالاً ضعفها العلماء وقالوها علماء طيبون مثل الناس الطيبين الذين يملؤون الدنيا وأكثر الطيبين يكونون أحيانًا خائبين.

فالعالم لا بد أن يكون مدققًا وعنده ذكاء وحرص، يحفر حتى يصل إلى قاع الموضوع وأصله، أما الذين علمهم بسيط لا ينفع، فيأخذونها ويروجونها بين الناس فتشيع بينهم الأمور غير الصحيحة، أرجوكم، إذا سمعتم شيئًا شديد التخويف أن تراجعوه مع أحد الذين عندهم علم، اسألوا العلماء حولكم، اسألوا الناس الذين تثقون فيهم من الناحية الدينية، راجعوا الكتب.

لا تأخذوا الكلام المشدد على أنه أصل مُسَلَّم به؛ لأن أصل هذا الدين اليسر، وابن قيم الجوزية له كلمة جميلة قال: «فكل شىء ضاد اليسر فشك فيه».

فالوسطية فى الدين، والاعتدال فى العبادة، والبعد عن التشدد ليست أمورًا اختيارية فى إسلامنا من شاء التزم بها ومن شاء هجرها آخذًا بنقيضها.

تقول الدكتورة ماجدة هزاع أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر[٣]:

إن الله ـ تعالى ـ أراد لهذه الأمة أن تكون أمة وسطًا، وسجل ذلك بقرآنه الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومعنى وسطيتها ألا يكون فيها إفراط (أى غلو) ولا

(٣) الأهرام ٢ يونيو ٢٠٠٦م.

تفريط، ومما ذكره الطبرى فى تفسيرها: معنى الوسط فى الآية الجزء الذى بين الطرفين، والمعنى أن هذه الأمة وسط لتوسطهم فى الدين. فهم أهل وسط واعتدال. أما المقصود بالغلو فى الدين فهو مجاوزة الحد الذى رسمه الشارع لاتباع أحكامه الشرعية العقدية والعملية، والذى قد يؤدى بالغالبية إلى التنكب عن الدين وشريعته نتيجة اتخاذ الغلو منهجًا وسلوكًا.

إن الأمر بترك الغلو ليس أمرًا قرآنيًا فحسب، بل ونبويًا أيضًا، إذ كان يأمر ﷺ بالقصد فى الأمور، ومما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد ـ القصد تبلغوا**».

ومعنى قاربوا: حافظوا على القصد فى الأمور بلا غلو ولا تقصير، ومعنى سددوا: أى اطلبوا بأعمالكم السداد وهو الصواب بين الإفراط والتفريط، والقصد: الأخذ بالأمر الوسط.

حجية السنة

١- الشيعة والسنة[٤]

ذهب الشيعة إلى إنكار الاحتجاج بالسنة، والاقتصار على القرآن، وهم فى ذلك مختلفو المقاصد، فمنهم من يعتقد أن النبوة لعلىّ، ومنهم من أقر للنبى بالنبوة، ولكن قال إن الخلافة كانت حقًا لعلىّ، فلما عدل بها الصحابة عنه إلى أبى بكر، كفروا الصحابة وكفروا عليًا لعدم طلبه حقه، وبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها؛ لأنها بزعمهم من رواية قوم كفار.

٢- الخوارج والسنة

ذكر البغدادى فى أصول الدين: إن الخوارج أنكروا حجية الإجماع والسنن الشرعية، وقد زعموا أنه لا حجة فى شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن.

٣- ابن حزم (٩٤٤ - ١٠٦٣هـ) والسنة

تصدى ابن حزم للقضية فى كتابه «الإحكام فى أصول الأحكام» وسأل: فى أى قرآن وجد أن الظهر أربع ركعات، وأن المغرب ثلاث ركعات، وأن الركوع على صفة كذا،

---

(٤) حتى لا تكون فتنة ـ الأستاذ فهمى هويدى.

والسجود على صفة كذا، وصفة القراءة فيها والسلام، وبيان ما يجتنب فى الصوم، وبيان كيفية زكاة الذهب والفضة، وبيان أعمال الحج... وأحكام الحدود، وصفة وقوع الطلاق، وأحكام البيوع، وبيان الربا، والأنصبة، والصدقات، وسائر أنواع الفقه؟

ثم قال: وإنما فى القرآن جمل لو تركنا وإياها لم ندر كيف نعمل بها، وإنما المرجوع إليه فى كل ذلك النقل عن النبى ﷺ.

أضاف: ولو أن امرأ قال: لا نأخذ إلا ما وجدنا فى القرآن لكان كافرًا بإجماع الأمة، ولكان لا يلزمه إلا ركعة بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة فى النصوص القرآنية، ولا حد للأكثر من ذلك، وقائل هذا الكلام كافر مشرك، حلال الدم والمال.

بجانب رأى ابن حزم عن السنة، فإن هناك آيات ونصوصًا قرآنية تدعم حجية السنة وتعززها منها:

(١) ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

(٢) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣].

(٣) ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

٤- الدكتور أحمد صبحى والسنة[٥]

فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٨٧م ألقى القبض فى القاهرة على جماعة تدعو إلى إنكار السنة، ويتزعمها أحد الأساتذة السابقين فى جامعة الأزهر هو الدكتور أحمد صبحى، والمنطق الأساسى لفكر هذه الجماعة أن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأوحد والأكمل للشريعة، وأنه احتوى على كل ما يلبى حاجات المسلمين، وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وأن السنة التى يعتد بها هى المطابقة لما جاء فى كتاب الله، فضلاً عن سنة الرسول الفعلية وليست القولية.

وعن رأى منظر الجماعة ورأسها فى الأحاديث النبوية أن الكثير منها هو مدسوس

---

(٥) حتى لا تكون فتنة ـ الأستاذ فهمى هويدى.

وموضوع لظروف تاريخية معينة، وأن الوضع اتسع نطاقه فى ظل نهى الرسول ﷺ عن تدوين أقواله، وتأكيد سيدنا عمر بن الخطاب على هذا النهى.

والدكتور أحمد صبحى يسجل موقفه فى دراسة طبعها هذا العام حول المسلم العاصى مثبتًا فى بدايتها أن من وسائل الشيطان فى غواية البشر وتشجيعهم على المعصية تلك الأحاديث الشيطانية التى يروجها أتباعه وينسبونها للدين ظلمًا وبهتانًا، ثم قال: إن المسلمين فى العصر العباسى قاموا بسد الفجوة بين القرآن وبين واقع حياتهم عن طريق وضع الأحاديث الضالة والتفسيرات الإسرائيلية.

وتخير الدكتور صبحى بعض الأحاديث الواردة فى صحيح البخارى المتعلقة بحساب العصاة فى الآخرة ليثبت الوضع فى تلك الأحاديث، وأنها مخالفة فى رأيه لنصوص القرآن، وليؤكد أن العصاة ـ وليس الكفار وحدهم ـ مخلدون فى النار.

وبعدها هاجم الإمام البخارى ومن استند إلى صحيحه، حيث وصفهم بأنهم جعلوه ندًّا لله، ووضعوا كتابه ـ المتضمن لما وصفه بالأحاديث الشيطانية ـ فى مستوى القرآن، بل فى درجة أعلى... والمفجع أن ما يهتم به المسلمون اليوم ليس تنقية عقائدهم من الأحاديث الضالة التى تحارب الله ورسوله، وإنما يهتمون بالدعوة إلى تطبيق شريعة مستمدة من تلك الأحاديث الضالة نفسها.

رتب الدكتور أحمد صبحى على موقفه من السنة آراء عدة، من بينها:

١- أنه رفض قبول الأحاديث القدسية، وقال: إن الأحاديث القدسية هى كتاب الله.

٢- أنه أسقط التحيات من الصلاة، بزعم أن التحية هى أسلوب التعامل مع المخلوقات، أما الله ـ سبحانه ـ فهو أكبر من أن يخاطب بالتحية، وقد استبدل التحيات بما أسماه التشهد القرآنى المتمثل فى الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وبعدها يقرأ الآية الأخيرة من سورة الحشر، أو آية الكرسى.

٣- أنه رفض حكم المرتد الذى أخذ من الحديث النبوى: «من بدل دينه فاقتلوه» على أساس أن هذا الحد لم يرد فى القرآن.

٤- أنه أنكر شفاعة النبى فى أحد من المسلمين اعتمادًا على النص القرآنى الداعى إلى أن الشفاعة لله وحده، وبنى على أن العصمة لله وحده، وادعى قولاً آخر مفاده أن عصمة النبى مقيدة بالوحى والتبليغ.

٥- فى قصة الإسراء والمعراج قبل بالإسراء الذى ورد ذكره فى القرآن، ورفض فكرة المعراج؛ لأنها لم ترد صراحة فى كتاب الله.

٦- الاكتفاء بالقرآن كما أنه دفعه إلى التحفظ على السنة القولية وعدم الاعتداد بدورها التكميلى، فإنه أيضًا دعاه إلى رفض المصادر الأخرى للتشريع الإسلامى.

المقاصد العامة للشريعة الإسلامية(٦)

١- البعد عن العنف والتعنت، ونفى كل مظاهر الشدة، ويظهر ذلك فى قول الله للنبى ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فالشريعة تكون بعيدة كل البعد عن القسوة، وتكون ملائمة لأصول الفطرة البشرية.

٢- كل حكم يتضمن إصرًا فهو مدفوع عن الشريعة ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ويقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٣- إن اعتبار الأفعال والحكم عليها من جانب الشرع راجع إلى مآلها فى الواقع، وذلك بالنظر إلى مقدار المصلحة التى يجلبها، ومقدار المفسدة التى يدرؤها، وكذلك بالنظر إلى ما إذا كان يترتب من ذلك الفعل ضرر للغير أم لا، وبناء عليه، فإن المجتهد لا يقدم على الحكم على أى فعل كان - بالإقدام أو بالإحجام - حتى يعرف ما يؤول إليه ذلك الفعل فى الواقع.

ولذلك يجب على المجتهد فى اجتهاده والمفتى فى فتواه والقاضى فى قضائه النظر إلى ما تحققه الأحكام الصادرة عنهم من مصالح عامة وخاصة مشروعة، وما تدفعه من مفاسد عن المجتمع والأفراد على السواء.

---

(٦) كتاب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية - د. بن زغيبة عز الدين.

فى هذا الإطار دعا جمال الدين الأفغانى إلى الإصلاح الدينى من خلال احترام منهج العقل، وتحرير الفكر الدينى من قيود التقليد، وفتح باب الاجتهاد، ورأى أن الشريعة ليست جامدة، بل متطورة، وأن الجمود والوقوف عند أقوال أناس هم أنفسهم لم يقفوا عند أقوال من سبقهم خطأ كبير، وقد وجه نقدًا شديدًا إلى إغلاق باب الاجتهاد.

فى هذا يقول أيضًا على بن أبى طالب:

«القرآن لا ينطق وهو مكتوب، وإنما ينطق به البشر، وهو حمال أوجه»

هكذا أيضًا السنة حمالة أوجه؛ لذا يقول عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن أصحاب رسول الله لا يختلفون؛ لأنه لو كان قولاً واحدًا لكان الناس فى ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم لكان سنة، ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه؛ لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون فى ضيق، فوسع الله ـ تعالى ـ على الأمة بوجود الخلاف الفروعى فيهم، فكان فتحًا للأمة فى الدخول فى هذه الرحمة.